انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام وقيمه الإيجابية (دراسة في القصص القرآني)

*عودة عبد الله، رسمية عبد القادر حنون، إبراهيم عبد الرحيم داود**

ملخص

يقوم البحث على دراسة الجانب النفسي عند الأنبياء عليهم السلام، من خلال ظاهرة الندم وانعكاساتها على الأقوال والأفعال والسلوك، وتحليل هذا الجانب، والإفادة منه في مسيرة الدعوة المعاصرة.

وقد عرض القصص القرآني بعض المواقف التي حصل فيها الندم لدى الأنبياء عليهم السلام، وبيّن أسبابه والآثار المترتبة عليها. وتبين أن الندم الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام، كان من النوع الإيجابي، الذي يمثل حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالخطأ والذنب، فتدفعه إلى التوبة.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير الموضوعي، القصص القرآني، علم النفس.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد...

فقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه عجائب قدرته وأسرار خلقته، وأوجد فيه المشاعر والأحاسيس والغرائز والانفعالات، لتكون همزة الوصل والتفاعل بينه وبين الآخرين، فيتأثر أو يؤثر في الأحداث والوقائع، والمناسبات والمشاهد، فيضحك أو يبكي، ويفرح أو يحزن، ويرضى أو يغضب، ويأمن أو يخاف، ويتفاءل أو ييأس.

ولمّا كان الأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، وأنموذج العنصر الإنساني، فقد تفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها أو واجهتهم بهذه الانفعالات والأحاسيس. ولقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه الكريم الكثير من الأحداث والصور والمشاهد التي واجهت الأنبياء عليهم السلام فتفاعلوا معها، وانعكست على سلوكهم وتصرفاتهم، أو على وجوههم وملامحهم.

ويأتي هذا البحث لتتبع هذه المشاهد في القرآن الكريم، التي برز فيها انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام، وانعكاس هذا الانفعال عليهم، سواء أكان على أقوالهم وأفعالهم، أم على سلوكهم وتصرفاتهم، أو حتى على قلوبهم أو ملامح وجوههم.

ثم دراسة شخصية هذا النبي أو ذاك على ضوء هذا الانفعال، وتحليل موقفه تجاه هذا الانفعال، ومن ثمّ استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة.

مشكلة البحث

1. كيف تطرق القرآن الكريم لموضوع انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام؟
2. كيف عالج القرآن الكريم هذا الموضوع الذي في ظاهره يعارض العصمة؟
3. ما القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من تناول القرآن الكريم لهذا الموضوع؟

أهداف البحث

1. لفت الأنظار إلى الانفعالات النفسية التي حصلت للأنبياء عليهم السلام، ومدى ارتباطها بعصمتهم.
2. معرفة الكيفية التي تحدث القرآن الكريم من خلالها عن انفعال الندم عند الأنبياء.
3. استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة من سلوك الأنبياء في هذه المواقف.

الدراسات السابقة

1. الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم. إبراهيم عبد الرحيم مصطفى (رسالة ماجستير – جامعة النجاح الوطنية).
2. انفعال الخوف عند الأنبياء وقيمه الإيجابية (دراسة في

* قسم أصول الدين(1، 3)؛ وقسم علم النفس(2)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. تاريخ استلام البحث 2015/7/7، وتاريخ قبوله 2015/9/9.

 © 2017 عمادة البحث العلمي وضمان الجودة/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

القصص القرآني). عودة عبد الله. رسمية عبد القادر. إبراهيم مصطفى (بحث منشور).

3. انفعال العجلة عند الأنبياء عليهم السلام وآثاره التربوية في القرآن الكريم. عودة عبد الله. إبراهيم مصطفى (بحث منشور).

4. الغضب عند الأنبياء (دراسة في القصص القرآني) عودة عبد الله. رسمية عبد القادر. إبراهيم مصطفى (بحث منشور)

وامتازت هذه الدراسة بكونها تناولت انفعالاً نفسياً محدداً عند الأنبياء عليهم السلام، وتخصيصه بالدراسة من خلال استقراء الآيات القرآنية التي تناولت هذا الموضوع.

خطة الدراسة

جاء هذا البحث إضافة إلى المقدمة والخاتمة في ثلاثة مباحث، هي:

المبحث الأول: مفهوم الندم ودلالته النفسيّة.

المبحث الثاني: مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: القيم الإيجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الأول
مفهوم الندم ودلالته النفسيّة

أولاً: الندم في اللغة والاصطلاح

تكاد معاجم اللغة تتفق على أن معنى الندم هو: الأسف والحزن[1]. وقال البستاني[2]: "ندم على ما فعل يندم ندماً وندامةً أسف، وحزن، وتاب، أو فعل شيئا ثم كرهه"[3]. فقد أضاف إلى الحزن والأسف التوبة. وكأن الندم طريق التوبة. أمّا الأصفهاني فقال: "الندم والندامة: التحسّر من تغيّر رأي في أمر فائت. قال تعالى: (فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)[4]. وقال: (فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ)[5]. وأصله من منادمة الحزن له"[6].

وقد يأتي بمعنى الأثر. قال ابن الأثير[7]: "الندم: الأثر"[8].

وذكره الزمخشري[9] بسكون الدال، من النَدْم، قال: "وعن ابن الأعرابي: سمّي بذلك للزومه من النَدْم، وهو من الغمّ اللازم إذ يندم صاحبه لما يعثر عليه في العاقبة من سوء آثاره"[10].

فالندم في اللغة هو: الأسف، والحزن، والغم، والتحسّر على ما فات، والتوبة منه.

أما اصطلاحاً: فإن مدلوله لا يختلف عن معناه في اللغة. حيث يدور معناه على التحسّر والألم على أمر فائت. فقد وردت مشتقات كلمة الندم في القرآن الكريم في ستة مواضع[11]. كلها تشير إلى معناه اللغوي نفسه.

فقد عرّفه الشيخ الجمل[12]عند قوله تعالى: (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[13] قال: "مغتمين غمّا لازما. فالندم غمّ يصاحب الإنسان صحبة لها دوام على ما وقع مع تمني انه لم يقع "[14].

وعرّفه ابن عاشور بقوله:"الندم: أسف الفاعل على فعل صدر منه، لم يتفطن لما فيه عليه من مضرّة. قال تعالى: (أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)[15]"[16].

كما عرّفه الدكتور وهبه الزحيلي بتعريف قريب من تعريف ابن عاشور حيث قال عند قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ)[17] قال:" الندم: هو ما يجد الإنسان في نفسه من الألم والحسرة عقب كل فعل ضار لمّا رأوا العذاب الشديد فصاروا مبهوتين متحيّرين. وقد يجهرون بالندم كما قال: (يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)[18]" [19].

وعليه فإن الندم: حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالخطأ والذنب. وقد تصل إلى الحزن، والتحسّر، والأسى، والتوبة.

ثانياً: الندم عند علماء النفس

عرّف علماء النفس الندم أو الشعور بالذنب بتعريفات مختلفة، إلا أنها تصب في معنى واحد، وإن اختلفت عباراتهم. فقد عرّفوا الندم بأنه:

- "لوم الذات وتأنيب الضمير[20] نتيجة الإتيان بأفعال خاطئة، أو خرق أمرٍ أخلاقيّ، أو الإخفاق في تحقيق طموحات، أو العجز عن فهم الآخرين"[21].
- "استعداد لا شعوري يقسر الفرد على الشعور الشاذ بالذنب، وعلى القيام بأعمال مختلفة لإيذاء نفسه وعقابها، أو إذلالها والغض من شأنها، وللتكفير عن ذنوب يتوهم أنه ارتكبها، ويسمى هذا (عقدة الذنب وإدانة الذات)[22].
- "انفعال ينشأ عن شعور الشخص بالذنب، وأسفه على ارتكابه، ولومه لنفسه على ما فعل"[23]

وقد قسّموا الندم أو الشعور بالذنب إلى قسمين هما [24]:

الأول: إيجابي: وهو الشعور الذي يدفع صاحبه نحو الفعل الإيجابي الفعّال كالذي يذنب ذنبا فيشعر بالندم ويقرر نتيجةً لهذا الشعور ألاّ يعود لهذا الذنب أبدا.

الثاني: سلبي: وهو شعور الفرد بلوم الذات وتأنيب الضمير.

والمقصود من القسم السلبي هو " شعور الفرد بذنب غير معروف المصدر، فترى الفرد لا يعرف لماذا يشعر بالذنب،

وهي مشاعر وهمية مبالغ فيها لا ترتبط بخطأ واضح أو واقعي، وأحيانا ينظر إلى أخطائه وكأنها لا تغتفر"[25].

وعلى ضوء هذه التعريفات فإن الندم أو الشعور بالذنب عند علماء النفس له قيمة إيجابية مُثلى، لأنه ضرورة تهذيبية كي يقلع الفرد عن أخطائه، ويراجع نفسه ويحاسبها.

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الندم أو التوبة والاستغفار لبعض الأنبياء عليهم السلام، وذلك بعد ذكره لخطأ أو معصية لهذا النبي أو ذاك، وذلك للتدليل على بشريّتهم. وفي هذا المبحث سأتحدث عن الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم.

المطلب الأول: مشهد الندم عند آدم عليه السلام

أولاً: ملامح شخصية آدم عليه السلام:

آدم عليه السلام أبو البشر[26]، وأول الأنبياء[27]، خلقه الله تعالى من تراب[28]، ونفخ فيه من روحه[29]، وأسجد له الملائكة[30]، وجعله خليفته في الأرض[31]. ورد ذكره في القرآن الكريم في ثمانية سور[32]. وقد وردت قصته بجوانبها المتعددة كثيرا في القرآن الكريم مقارنة مع غيرها من قصص الأنبياء عليهم السلام.

ومن أبرز ملامح شخصيته عليه السلام:

1- العلم: فقد علّمه الله تعالى أسماء كل شيء، قال تعالى: (وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[33]. وذلك ليتمكن من العيش في الأرض وخلافتها. حيث إن الغاية من خلقه عليه السلام هي خلافة الأرض. قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)[34].

2- قوة الحجة وفصاحة اللسان: حيث منحه الله تعالى قوة الحجة في المجادلة وفصاحة اللسان في المواجهة. فقد ثبت في البخاري ومسلم حديث محاجة موسى لآدم عليهما السلام وفيه: فقال رسول الله ﷺ: " فحجّ آدم موسى مرتين "[35].

3- النسيان وعدم العزم: قال تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[36]. يقول سيد قطب: " وعهد الله إلى آدم كان هو الأكل من كل الثمار سوى شجرة واحدة، تمثل المحظور الذي لا بد منه لتربية الإرادة، وتأكيد الشخصية، والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذي يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد، فلا تستعبدها الرغائب وتقهرها. وهذا هو المقياس الذي لا يخطئ في قياس الرقي البشري"[37].

ثانياً: ندم آدم عليه السلام بعد الأكل من الشجرة وعصيان الله تعالى

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: (وَيَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآَتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآَتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[38]

فهذا المشهد يكشف الستار عن أمرين اثنين هما:

الأول: عصيان آدم عليه السلام لربه عز وجل في أكله من الشجرة: فقد أحلّ الله تعالى لآدم عليه السلام وزوجه أن يأكلا من أي أشجار الجنّة شاءا، بل ومن أي مأكول فيها قال تعالى: (وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)[39]. وحرّم عليهما شجرة بعينها. نهى أن يأكلا منها بل أن يقتربا منها، لأن "النهي عن الاقتراب أبلغ من النهي عن الأكل"[40] وهذا النهي للتحريم لقرينة (فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ).

ولما كان من ملامح شخصية آدم عليه السلام النسيان والغفلة، والضعف أمام المغريات، مصداقاً لقوله تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آَدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا)[41]، فقد استطاع الشيطان أن يوسوس لآدم عليه السلام وزوجه ويغريهما ليأكلا من هذه الشجرة، مستخدماً ثلاثة أساليب هي:

1- **القسم واليمين الكاذب:** (وقاسَمَهُما)، والمعنى "حلف لهما بالله"[42]. وهذا من أخبث الأساليب للإيقاع والغواية.

2- **النصح والإرشاد:** (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)، والمعنى أن الشيطان " صوّر نفسه لهما ناصحاً من جملة الناصحين"[43].

3- **التدرج في خطوات الغواية:** (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ)، والمعنى "استنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغرور"[44]. "ومعلوم أن التدلية لا تكون رمياً أو قذفاً، وإنما تكون إرسالاً برفق شيئا فشيئاً، وهذه هي وسيلة الشيطان، إنها قائمة على أسلوب الخطوات المتتابعات تنازلاً إلى الحضيض، أو إلى الدرك الأسفل من الجحيم"[45]. ولذا نهى الله تعالى عن اتباع هذه الخطوات الشيطانية قائلاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[46].

وهذه الخطوات آتت أكلها حين أغراهما بان الأكل من هذه الشجرة سيوصلهما إلى الملك والخلود (إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)[47]. وهذا يدل على أن آدم عليه السلام وزوجه كان عندهما الرغبة الشديدة في الخلود وأن يكونا ملكين، " ومعلوم أن شدّة الرغبة تتحول إلى هوى، ومن شأن الهوى أن يغشّي على مراكز التفكير الصحيح، ويجعل الإنسان يتصرف بموجّه من رغبات نفسه، لا بموجّه من فكره وعقله وإيمانه، ومن هنا يسقط المؤمنون في أوحال المعاصي والخطايا "[48].

وفعلاً وقع آدم عليه السلام في المعصية (وعصى آدمُ ربَّه فغوى)[49]. وأكل هو وزوجه من الشجرة. ولكن الأكل كان على مرحلتين:

الأولى: التذوق. (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتُهما)[50]، أي " وجدا طعمها"[51].

الثانية: الأكل. (فأكلا منها فبدت لهما سوءاتُهما)[52].

وقد انكشفت سوءاتهما حين ذاقا الشجرة وقبل أن يأكلا، بدليل قوله تعالى: (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتُهما)[53] للتدليل على أن ملامسة المعصية وقبل الانغماس فيها توقع الإنسان في المحظور والعقوبة، وللتدليل كذلك على أن المعصية قد وقعت، والعقوبة المترتبة عليها قد حانت. وهي الخروج من الجنّة، وذلك أن الله تعالى بيّن لآدم عليه السلام أنه لن يجوع في الجنّة ولن يعرى قائلاً: (إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى)[54]. وما دامت سوأته قد انكشفت، فلا مقام له في الجنّة.

وقد عاتب الله تعالى آدم عليه السلام على هذه المعصية، وعلى عدم التزامه بأمره ونهيه، قائلاً: (أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ)[55]. فربنا سبحانه بيّن لآدم عليه السلام، وأعذره بهذا البيان، أن الشيطان عدوٌ لا يؤمن جانبه، فعليه الحذر منه.

يقول سيد قطب: " وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية وعلى إغفال النصيحة "[56].

الثاني: اعتراف آدم عليه السلام بالمعصية وندمه عليها: فبعد هذا العتاب الإلهي، يقر آدم عليه السلام وزوجه بالذنب والخطيئة، وأنهما ظلما أنفسهما، ويطلبان من الله تعالى المغفرة والرحمة إذ بدونهما يكونان من الخاسرين (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[57].

وهذا الدعاء يدل على عمق التحسّر والندم من آدم عليه السلام، وعلى مدى الاستعطاف من الله تعالى ليغفر هذا الذنب وهذه الزلّة. وهذا الندم نتج عنه أمران:

الأول: غفران الذنب، وقبول التوبة، قال تعالى: (وَعَصَى آَدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[58]. وقال تعالى: (فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[59]، "وهذه الكلمات التي تلقّاها الرب سبحانه من آدم عليه السلام هي قوله (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)"[60] [61].

الثاني: الهبوط إلى الأرض، وإنفاذ وعد الله بالخلافة فيها، وإقامة شرعه عليها، وإنزال الهداية إليها، قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[62].

وأمام هذه المعصية من آدم عليه السلام، وهذا الندم والتحسّر، وهذه الرحمة والتوبة من الله تعالى، "ينكشف الجانب الآخر من طبيعة هذا الكائن المتفرد. إنه ينسى ويخطئ. إن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان. إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم. ولكنه يدرك خطأه، ويعرض زلّته، ويندم ويطلب العون من ربه. إنه يثوب ويتوب، ولا يلحّ كالشيطان في المعصية، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية"[63].

وفي عصيان أبي البشر آدم عليه السلام، ثم ندمه واستغفاره، بيان وإيضاح لخصيصة هذا الإنسان، والغرائز والاستعدادات والأحاسيس والمشاعر التي وضعها الله تعالى فيه، " فلا عجب إذا أن نجد آدم عليه السلام بعد أن يعهد الله إليه أن ينسى، وأن يخور عزمه ويفتر عما عهد الله إليه"[64].

وأهم العبر المستفادة من هذا المشهد هي:

1- الكشف عن حقيقة الشيطان، وأنه عدو للإنسان، غايته وهدفه الإيقاع به، وحرف مساره نحو الشر والفساد، والمعصية والفجور. ولذا نبّه الله تعالى عباده بعد معصية آدم عليه السلام بقوله: (يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا)[65].

2- إن الندم والتحسّر والشعور بالذنب واتهام النفس بالتقصير والظلم، والعزم على تصويب المسيرة، كلها وسائل وطرق تقرب الإنسان من ربه، وتمحو عنه السيئات، وتجبر عنه المعاصي (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[66].

3- إن هذا الإنسان، وهذا الكائن الجديد، وضع الله تعالى فيه نوازع الخير والشر، فهما يتصارعان في نفسه وداخله، فإذا غلب الهوى واستحكم فقد الإنسان أهم عنصر فيه وهو العقل والفكر والإدراك، وأسلم قياد نفسه للشهوات والشبهات والغرائز المضلة، مما يسبب له الوقوع في المعاصي والمحرمات. وأما إذا استكانت نفسه لنوازع الخير، واطمأنت إليه، كان هذا الإنسان عنصر بنّاء في الأرض، وخليفة الله فيها.

المطلب الثاني: مشهد الندم عند نوح عليه السلام

أولاً: ملامح شخصيّة نوح عليه السلام:

نوح عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض[67]. وأول أولي العزم منهم[68]. سمّاه الله عبداً شكوراً[69]. وهو أكثر الرسل مكثاً في قومه يدعوهم إلى الله. حيث مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما[70].

من أبرز ملامح شخصيته عليه السلام:

1- الصبر والتحمّل في مواجهة الصعاب والمحن والابتلاءات. فقد كان عليه السلام كالطود الشامخ والجبل الأشم في مواجهته للصعاب والفتن. فلقد أبتلي من قومه، وزوجته، وولده. فقومه واجهوه بشتّى صنوف الأذى والاضطهاد. اتهموه بالسفه والضلال، قال تعالى: (قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[71].

واتهموه بالجنون، قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ)[72]. واتهموه بكثرة الجدال والافتراء على الله تعالى: (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[73]. وعلى الرغم من أنه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، إلا أنه لم يؤمن منهم إلا القليل، قال تعالى: (وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)[74]. ومع كل هذه المحن صبر عليهم. وابتلي بزوجته فقد كانت كافرة، قال تعالى: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[75]. وابتلي بولده الذي اختار طريق الكفر على طريق الإيمان، قال تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)[76]. لذا " كان جهاد نوح عليه السلام، وصبره على إيذاء قومه، بما لا طاقة لأحد على تحمّله، ولا قدرة له عليه، فقد كان جهاده جهاد الأبطال، وصبره صبر الجبال، أوذي، وعذّب، واضطهد، وهو لم يكف عن تبليغ دعوة الله لمدة تقارب ألف عام"[77].

2- كان ذا نفسيّة أبيّة، يأبى الضيم، والذلّ، والهوان. فقد كان عليه السلام يرد عن نفسه وإخوانه سخافاتهم، قال تعالى: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ)[78].

3- كان صاحب همّة عالية، لا تعرف الكلل ولا الملل، ولا الكسل ولا الفتور. يصل الليل بالنهار في سبيل دعوته، فقد كان " يعيش لدعوته، فمن أجلها يواصل الليل والنهار، والسر مع الإعلان، ولا يتقاضى على ذلك أجرا، أو ينتظر مغنما، أو يطمع في جاه"[79]. قال تعالى: (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)[80].

4- "كان حليماً، واسع الصدر، محباً لقومه، لا يعرف الحقد سبيلاً إلى نفسه، ولا يأبه من استخفاف الناس له، ولا يقيم للأهواء والأمزجة وزنا "[81].

5- كان عليه السلام أبا حانياً، ذا قلب شفوق ممزوجاً بالرحمة والحنان. حزن واغتمّ وتحسّر لغرق ولده. ودعا ربه أن لا يجعله من الكافرين قائلاً: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ)[82].

ثانياً: ندم نوح عليه السلام على استغفاره لولده الكافر:

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[83].

فهذا المشهد يرسم شخصية نوح عليه السلام الوالد، والأب، حيث تتحرك مشاعر وعواطف الأبوة الصادقة بهذا النداء الذي ينمّ عن مدى الشفقة والرحمة، والحنان والرأفة. نداء نوح الأب لابنه الكافر العاق (يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ)[84]. فيرفض هذا العاق إجابة دعوة والده. وتتدخل بينهما موجة عاتية فتغرقه فيكون من المغرقين (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ)[85]. يقول الشيخ عبد الكريم الخطيب:" ماذا يكون من أب نحو ابنه من حنو وإشفاق، ومن جزع وحزن. أكثر مما فعل نوح عليه السلام مع ابنه هذا. لقد هتف به أن يركب السفينة معه، وذلك حين تفقّده فلم يجده بين أهله الراكبين فيها، ثم لقد برّح به الحزن، واشتدّ عليه الألم، بعد أن هلك هذا الابن، وكان من المغرقين. فجعل نوح عليه السلام يندب ابنه، ويطلب من الله تعالى العزاء والسلوان الذي حكاه القرآن بقوله: (وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ)[86]. فبهذا القلب الحزين الذي يتمزق أسى وحسرة، يناجي نوح ربه. وكأنه يعاتبه، أو يراجعه فيما قضى به سبحانه في هذا الابن العاق"[87].

فنوح عليه السلام تحركت في نفسه لهفة الوالد المفجوع حين هدأت العاصفة. فقام بمناجاة ربه في ابنه (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي). وقد وعد الله تعالى نوحاً عليه السلام بنجاة المؤمنين من أهله. إذ إنه أمره بحملهم في السفينة بقوله تعالى:

(قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ)[88].

ويأتي الجواب الإلهي على صورة عتاب (يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)[89]. يقول سيد فطب: "جاءه الردّ هكذا في قوة وتقرير وتوكيد، وفيما يشبه التقريع والتأنيب والتهديد"[90]. فتبين لنوح عليه السلام أنه تسرّع في سؤال الله عز وجل بشأن ولده. فاستحق بذلك العتاب الإلهي، والتأنيب الربّاني، بقوله: (إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)[91]. وهذه الكلمات تدل على مدى العتاب والتأنيب والتهديد. مما أدّى إلى وجود انفعال الخوف عند نوح عليه السلام. قال محمد سرور زين العابدين:" وترتعد فرائص نوح عليه السلام من شدة الخوف، وترتجف من لوم الله له. فيتوجه إلى ربه مستغفرا تائبا"[92].

بعد هذا العتاب الرباني ينفعل نوح عليه السلام انفعال ندم، فيشعر بارتكابه الخطأ، " ويرتجف نوح عليه السلام ارتجافة العبد المؤمن. يخشى أن يكون قد زلّ في حق ربه، فيلجأ إليه، يعوذ به، ويطلب غفرانه ورحمته، (رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ)[93][94].

والمتدبر لهذا المشهد يجد أن نوحاً عليه السلام قد أخطأ في سؤال ربه نجاة ولده، وأنه قد جاوز بذلك حدّه الذي يجب أن يقف عنده. قال الشيخ الخطيب: "ولهذا فقد عرف أن ما كان منه من سؤال عن ابنه، وعن حكمة الله في إغراقه مع المغرقين. هو أمر جاوز به الحدّ الذي ينبغي أن يقف عنده مع الله عز وجل، فجاء إلى الله تائباً مستغفرا"[95].

بينما يعتبرها (رشيد رضا) خطأ في اجتهاد رأي إذ يقول: "إن سؤال نوح عليه السلام ما سأله لابنه لم يكن معصية لله تعالى خالف فيها أمره أو نهيه، وإنما كانت خطأ في اجتهاد رأي بنيّة صالحة. وإنما عدّها الله سبحانه ذنبا له لأنها كانت دون مقام العلم الصحيح اللائق بمنزلته من ربه. هبطت بضعفه البشري، وما غرس في الفطرة من الرأفة والرحمة بالأولاد إلى اتباع الظن. ومثل هذا الاجتهاد لم يعصم منه الأنبياء فيقعون فيه أحيانا ليشعروا بحاجتهم إلى تأديب ربهم، وتكميله إياهم آناً بعد آن، بما يصعدون به في معارج العرفان"[96].

لذا سارع نوح عليه السلام بالاستغفار، والندم، وإظهار الافتقار إلى الله سبحانه، وأنه سيكون من الخاسرين إن لم تتداركه نعمة الله بالمغفرة." وهذه التوبة منه عليه السلام عما وقع منه، وإنما لم يقل أعوذ بك منه أو من ذلك مبالغة في التوبة، وإظهارا للرغبة والنشاط فيها. وتبركاً بذكر ما لقنه الله تعالى. وهو أبلغ من أن يقول: أتوب إليك أن أسألك، لما فيه من الدلالة على كون ذلك أمرا هائلا محذورا، لامحيص منه إلا بالعوذ بالله تعالى. وأن قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره إلا بذلك"[97].

ومن هداية هذا المشهد أن الندم، والاستغفار، والشعور بالخطأ والتقصير. سبيل إلى المغفرة والتوبة.

المطلب الثالث: مشهد الندم عند يونس عليه السلام

أولاً: ملامح شخصية يونس عليه السلام:

يونس عليه السلام نبي كريم، ورد ذكره في القرآن الكريم ست مرات[98]. وسمّيت سورة باسمه. قال فيه الرسول ﷺ: "ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متّى"[99]. أرسله الله إلى قومه وكانوا أكثر من مائة ألف قال سبحانه: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[100]. فدعاهم إلى الله، وذكّرهم، ونصحهم.

من أبرز ملامح شخصيته عليه السلام:

1- شفافية روحه ورقة فؤاده. ونلمح هذه الصفة في شخصيته من قوله تعالى حاكياً عنه: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).[101]

2- صلابة دينه وقوة إيمانه. حيث أرسله الله تعالى إلى أكبر قوم من حيث عددهم، قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ)[102].

3- التواضع، ونلمح هذه الصفة من خلال مشاركته لهموم الناس وآلامهم، فقد ساهم مع ركّاب السفينة. قال تعالى: (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)[103].

ثانياً: ندم يونس عليه السلام:

ويبدأ المشهد من قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ)[104].

وفي هذا المشهد نلمح وجود انفعالين حصلا ليونس عليه السلام. انفعال الغضب. حيث غاضب قومه لله، وغاضبوه بعصيانهم له، وإصرارهم على عبادة الأصنام. فقرر تركهم والخروج من عندهم، دون أخذ الإذن من الله سبحانه. وقد تكلمت عن هذا الانفعال في مشهد الغضب عند يونس عليه السلام [105].

وظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لن يضيّق عليه الأرض بعد خروجه عن قومه. "فهي فسيحة، والقرى كثيرة، والأقوام متعددة، وما دام هؤلاء يستعصون على الدعوة،

فسيوجهه الله إلى أقوام آخرين"[106]. قال تعالى: { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْه}[107]. يقول الدكتور فضل عباس: "وإذا كان مثل هذا الظن يمكن أن يقبل من غير أصحاب النفوس الكبيرة الذين لا يعدّون في هذه الحياة ليكونوا مصابيح هداية. فإنه لا يقبل ممن أعدهم الله تبارك وتعالى ليحملوا رسالته. لذلك كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين. والله سبحانه الحكم العدل يأخذ كل واحد ويحاسبه على قدر ما أنعم عليه. وبمقدار ما مكنه في هذه الحياة"[108].

ولا يجوز أن يُظن أن يونس عليه السلام كان يظن بربه عز وجل أنه لا يقدر عليه. إذ "أن هذا الظن لا يجوز بضعيفة من النساء، أو بضعيف من الرجال، إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل. فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم. ومن المحال المتيقن أن يكون نبي يظن أن الله الذي أرسله بدينه، لا يقدر عليه، وهو يرى أن آدميا مثله يقدر عليه، ولاشك في أن من نسب هذا إلى النبي الفاضل، فإنه يشتد غضبه لو نسب ذلك إليه أو إلى ابنه. فكيف إلى يونس عليه السلام الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلوني على يونس بن متّى"[109]. فقد بطل ظنهم بلا شك، وصح أن معنى قوله: (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ)[110]. أي لا نضيق عليه. كما قال سبحانه: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ)[111] أي ضيق عليه"[112].

وبعد خروجه عليه السلام عن قومه، ساقه القدر إلى مركب في البحر، ليساهم مع ركابه، فتأتي القرعة عليه، ليكون الحوت مأواه فترة من الزمن. قال تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ)[113].

واستقر يونس عليه السلام في بطن الحوت، وبدأت رحلة الابتلاء والمعاناة، ووجد يونس عليه السلام نفسه في ظلمات متراكبة "ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت"[114].

وكأني بيونس عليه السلام يراجع نفسه وهو في بطن الحوت ما الذي فعله؟ وما سبب هذه المحنة والمعاناة التي وقع فيها؟ فيلجأ إلى ربه بالتسبيح (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[115]. ثم بالإقرار والاعتراف بخطئه وذنبه. وهذا هو الانفعال الثاني وهو انفعال الندم.

إن يونس عليه السلام قد شعر بالذنب، وشعر أنه قام بفعل قد لا يرضي الله تعالى، وهو الخروج عن قومه دون أخذ الإذن من سيّده ومولاه سبحانه. فما كان منه إلا أن دعا ربه باكيا متضرعا قائلا: (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[116]. وقوله: (إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) إقرار منه عليه السلام بالذنب وشعور بالندم. يقول النيسابوري:[117] " قول يونس: (إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) أي بالفرار من غير إذن، وأنا الآن من التائبين"[118].

إن يونس عليه السلام قد علم أن ما أصابه تأديب رباني. ولذا حصل له انفعال الندم، والشعور بالخطأ.

والهداية والعبرة التي نستخلصها من ندم يونس عليه السلام هي:

1- وجوب لوم النفس، والشعور بالتقصير والخطأ، والاعتماد على الله سبحانه وقت المحن والشدائد.

2- إن الأنبياء عليهم السلام " يؤاخذون في الدنيا على ما فعلوه، مما يظنونه خيراً وقربة إلى الله عز وجل إذا لم يوافق مراد ربهم. وعلى هذا الوجه أقرّ – يونس – على نفسه بأنه كان من الظالمين. والظلم: وضع الشيء في غير موضعه. فلما وضع النبي عليه السلام المغاضبة في غير موضعها، اعترف في ذلك بالظلم، لا على أنه قصده وهو يدري أنه ظلم"[119]. وذلك أنه غاضب قومه وأسرع بالخروج من عندهم دون أن يأخذ الإذن من الله تعالى.

المطلب الرابع: مشهد الندم عند موسى عليه السلام

أولاً: ملامح شخصية موسى عليه السلام:

موسى عليه السلام أحد أولي العزم من الرسل، وأشهر أنبياء بني إسرائيل، والحديث عنه وعن قومه في القرآن الكريم أطول وأوسع من الحديث عن أي نبي آخر. ومن فضائل موسى عليه السلام أنه كليم الله. قال تعالى: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)[120]، ومن أولي العزم من الرسل قال تعالى: (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)[121]. وذكرهم سبحانه في موضعين في القرآن الكريم وذكر منهم موسى عليه السلام. قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى)[122]. وقال تعالى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ)[123]. كما فضّل الله موسى عليه السلام برسالاته وكلامه فقال: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي)[124]، وصنعه الله تعالى على عينه فقال: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)"[125].

ويعدّ موسى عليه السلام أكثر الأنبياء والمرسلين انفعالاً، سواء في انفعال الخوف أو في غيره. ولعل ذلك يعود إلى الآتي:

1- الأحداث والوقائع التي وقعت لموسى عليه السلام، متعددة الجوانب، متفرعة الأهداف، متباعدة في الزمان والمكان، متغايرة في الأشخاص. فيها عنصر الإثارة الشديدة والمفاجأة المزعجة فمن حادثة قتل القبطي، إلى حادثة لقائه مع

ربه، إلى موقفه مع فرعون والسحرة، ثم موقفه مع السامري، وموقفه مع الخضر، ثم موقفه من عبادة قومه العجل... الخ.

2- الإحساس بالظلم من فرعون وقومه، حيث إن فرعون كان يذبّح أبناء بني إسرائيل كما قال سبحانه: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[126]، ثم وقاحة فرعون حين ادّعى الإلوهية قائلاً : (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)[127].

3- قصة موسى عليه السلام كانت تمثل حقيقة الصراع بين الحق والباطل، لذا تنوعت أساليبها وكثرت مشاهدها. يقول الصابوني:" ليست قصة موسى وفرعون، قصة فرد مع ملك، أو ليست قصة نبي كريم مع جبّار عظيم، إنما هي قصة تتكرر في كل زمان ومكان، وتبرز في كل وقت وحين، وهي تصور حقيقة واقعية أليمة، تصور الصراع بين الحق والباطل"[128]. وما من شك أن الصراع بين الحق والباطل حافل بالانفعالات الحادّة أحياناً، والبسيطة أحياناً أخرى.

4- أسباب مادية أو بيئية، أو الظروف التي مرّ بها منذ ولادته وحتى كبر، فالدكتور فضل عباس يشير إلى إمكانية أن تكون شدّة أمواج اليمّ الذي ألقي فيه وهو رضيع لها أثر في جعله حادّ المزاج، كثير الانفعالات، فيقول: " نتصور ملامح شخصية موسى عليه السلام، وأول هذه الملامح ما نلمحه من حدّة في الطبع وحدّةٍ في المزاج، وكأن شدّة أمواج اليمّ الذي ألقي فيه، شاء الله أن يكون لها فيه أثر"[129]. وقد تكون البيئة الصحراوية لها علاقة بحدّة مزاجه عليه السلام.

ثانياً: ندم موسى عليه السلام على إلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه:

ويبدأ مشهد انفعال الندم عند موسى عليه السلام من قوله تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[130].

ففي هذا المشهد نلمح انفعال الندم، والشعور بالخطأ بادياً على موسى عليه السلام من خلال دعائه (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ). فحين تبيّن له أنه تسرّع في إلقاء الألواح، وإيذاء أخيه. شعر بالندم والخطأ تجاه ربه، وتجاه أخيه. فطلب المغفرة والرحمة له ولأخيه. ومن هنا حصل الندم عنده عليه السلام. قال أبو حيّان: " لمّا اعتذر إليه أخوه استغفر لنفسه وله. قالوا: واستغفاره لنفسه بسبب فعلته مع أخيه، وعجلته في إلقاء الألواح. واستغفاره لأخيه فعلته في الصبر لبني إسرائيل"[131].

والآية (رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي) دالّة على وقوع ذنب وخطأ من موسى عليه السلام. إذ " كيف يلقي الألواح وفيها المنهج، وكيف يأخذ برأس أخيه هذه الأخذة قبل أن يتبين وجه الحق منه"[132].

والغفران يكون من ذنب أو خطأ أو تقصير. قال ابن منظور: "وأصل الغفر: التغطية والستر. غفر الله ذنوبه أي سترها. والغفر: الغفران. والغفور والغفّار: هما من أبنية المبالغة. ومعناهما الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم"[133]. وهذا يقع من الأنبياء عليهم السلام. ولا يؤثر في عصمتهم، وذلك أنهم معصومون عن كبائر الذنوب وعن الصغائر الخسيسة، لكنهم غير معصومين عن باقي الصغائر.

ويرى الدكتور الخالدي أن موسى عليه السلام لم يخطئ، وإنما فعل خلاف الأولى. فيقول: "ودعاؤه الله لهما بالمغفرة، ليس معناها أنهما ارتكبا ذنبا، وإنما هو ذكرٌ منه لله، وأدبٌ منه مع الله، وحاسيّته وتحرجه من فعل خلاف الأولى. إنه يستغفر الله مما ظهر عليه من الغضب والانفعال مع أنه لم يخطئ فيه، وإنما فعل خلاف الأولى، ويستغفر لأخيه من فعله خلاف الأولى مع بقائه مع القوم"[134].

وأميل إلى أن موسى عليه السلام أخطأ، وهو في حالة الغضب خطأين. الأول: إلقاء الألواح. والآخر: جرّ أخيه هارون عليه السلام من لحيته ورأسه. ثم ندم من هذين الخطأين، واستغفر لنفسه ولأخيه. وهذا يدل على أمرين اثنين هما:

1- سرعة رجوعه إلى الحق والصواب.
2- عناية الله تعالى بنبيّه موسى عليه السلام، حيث أرشده إلى التوبة والاستغفار، لأن الله تعالى لا يقر أنبياءه على خطئهم، وإنما يعجّل لهم سبيل التوبة.

المبحث الثالث

القيم الإيجابية لانفعال الندم عند الأنبياء عليهم السلام

من خلال مشاهد الندم عند الأنبياء عليهم السلام، رأينا أن القرآن الكريم قد سبر غور نفسياتهم، وتوغل في أعماقها، وكشف مكنوناتها، وأظهر ما تخفي في داخلها، حتى يبين لنا "أن في الصورة النفسية وظيفة وعظ وإرشاد واعتبار وتذكير، تتضح معالمها وأبعادها في استخلاص العبر، لما تتضمنه من فوائد كثيرة"[135].

ومن هذه القيم والفوائد التي نستخلصها من صورة الأنبياء النفسية في مشاهد الندم والاعتراف بالخطأ هي:

أولاً: ما من شك في أن الندم الذي ينشأ عن شعور الفرد بالذنب، وأسفه ولوم نفسه على ذنب أو خطأ أو تقصير فعله، من العوامل المهمة في تقويم شخصيته، وصقلها، وتهذيبها، ودفعها إلى تجنب الأفعال أو الأمور التي يمكن أن تسبب له الم النفس مستقبلا.

فالأنبياء عليهم السلام خطّوا منهجاً لأتباعهم في صقل شخصياتهم، وتهذيب نفوسهم من خلال ندمهم، وشعورهم بالخطأ، على أفعال ظاهرها المخالفة لأوامر الله تعالى.

فهذا آدم عليه السلام أول البشر وأبوهم خطّ للبشرية جمعاء ولأبنائه من بعده هذا المنهج، وذلك من خلال لوم نفسه وندمها واتهامها بالظلم حين عصى ربه عز وجل وقال: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[136].

وهذا موسى عليه السلام يخط لبني إسرائيل المنهج الأمثل في تهذيب النفس مما يعلق بها من أدران، وشبهات. فها هو عليه السلام يجأر أمامهم بكل جرأة وشجاعة (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[137].

لقد أراد موسى عليه السلام من خلال هذا أن يعطيهم درساً في تصويب جريمتهم حين عبدوا العجل من دون الله تعالى، ويصقل نفسياتهم التي أُشربت الذل والخنوع، وانساقت كقطعان الإبل وراء شبهات ووساوس السامري الذي طلب منهم الحليّ ليصنع لهم عجلاً يعبدونه من دون الله تعالى، قال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ)[138].

لذا فإن الندم يدفع إلى تصويب العمل، وتصحيح المسيرة، وإصلاح السلوك. وبالتالي يدفع إلى الإيجابية دائما.

ثانياً: لا يختلف اثنان في أن الخطأ أو الذنب طبيعة البشر، كما قال الرسول ﷺ: "كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التوابون"[139]. إلا أن الاختلاف يكون في الطريقة التي يمكن أن يسلكها الفرد للتكفير عن ذنبه. وقد رأينا الأنبياء عليهم السلام كيف أوضحوا لنا عملياً السبيل والطريق الأمثل والأقوم لتجاوز مرحلة الذنب أو الخطأ أو التقصير. وهي الشعور بالذنب، والاعتراف به، والتحرر من قيده، ثم العمل على تغيير الواقع الذي يعيشه.

إذ أنه لا يجوز أن يبقى الفرد حبيس ذنبه، ورهين خطأه. ولا يجوز كذلك أن يبالغ في تأنيب نفسه ولومها وتعذيبها، لأن ذلك مدعاة إلى التطرف في الفكر، والشطط في السلوك.

لقد رأينا الأنبياء عليهم السلام الذين حصل معهم انفعال الندم والذي جاء بعد انفعال الغضب عند موسى عليه السلام، أو بعد ذنب ومعصية كما حصل لآدم عليه السلام، أو بعد خطأ في حق الله كما حصل مع نوح ويونس عليهما السلام. رأيناهم ساروا طريقاً وسطاً في معالجة ما فعلوه.

فآدم عليه السلام تجاوز عن معصيته لربه عز وجل بأن اعترف بها، وندم عليها، وتاب منها وطلب من الله تعالى قبول التوبة، ثم تابع مسيرة الحياة بأن تولّى خلافة الأرض وعمارتها، واكتشاف مكنوناتها.

وموسى عليه السلام أراد أن يتجاوز عن الخطأ الذي وقع منه في إلقاء الألواح وإيذاء أخيه بأن ندم على فعله، واستغفر لنفسه ولأخيه. لكنه لم يبق حبيس خطأه، وعتاب نفسه. وإنما تابع مسيرة الدعوة والتغيير، ولم يتوقف لحظةً واحدة.

وهذا نوح عليه السلام ما إن شعر أنه أخطأ وتجاوز الحد المسموح له به، حتى ندم واستغفر، وطلب من الله تعالى الصفح والعفو. لكنه لم يوقف عجلة السفينة التي كان يقودها، ولم تتوقف دعوته.

وهكذا يونس عليه السلام حين أقر بخطئه وهو في بطن الحوت، واعترف به، بل واتهم نفسه بالظلم حين قال: (إني كنت من الظالمين)[140]، ندم واستغفر، ثم تابع مسيرة جهاده ودعوته، ولم يترك الساحة والميدان للطغاة والطغام.

وعليه، فإن الدعوة والإصلاح، والتغيير والتعمير في هذه الأرض، لا يجوز لها أن تتوقف بخطأ يرتكب هنا أو هناك. وإنما يجب معالجة هذا الخطأ أو الذنب بالندم أولا، ثم بالاستغفار ثانيا، ثم بمتابعة نهج التغيير للأصلح والتعمير في الأرض.

ثالثاً: إن الندم أول مظهر من مظاهر التوبة النصوح، وأول شرط من شروط قبولها " لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة، بمعنى أنه يتحسر على ما سبق منه، وينكسر من أجله، ولا يرى أنه في حلّ منه حتى يتوب منه إلى الله "[141].

والمتدبر لحال الأنبياء عليهم السلام، والذين حصل معهم انفعال الندم، من خلال الصورة التي رسمها القرآن الكريم لهم، سيجد حالة التحسر والحزن والأسى بادية عليهم. مما يدل على شفافية أرواحهم ورقّتها، وعظمتها في الاعتراف بالخطأ.

فانظر بعين التأمل إلى كلمات نوح عليه السلام وهو يقول: (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[142]. تجد في ثناياها التحسر والخوف والحزن والندم. وهذا من سبر القرآن غور نفوسهم. وهكذا مع موسى ويونس عليهما السلام.

لذا اعتبر الرسول ﷺ الندم توبة، فقد روى ابن ماجة عن ابن معقل قال: "دخلت مع أبي على عبد الله فسمعته يقول:

قال رسول الله ﷺ: الندم توبة. فقال له أبي: أنت سمعت النبي يقول: الندم توبة؟ قال: نعم[143].

قال القشيري[144] في رسالته: "قال أرباب الأصول من أهل السنّة: لكي تصح التوبة لا بد لها من ثلاثة شروط: الندم على ما عمل من المخالفات، وترك الزلة في الحال، والتصميم على أن لا يعود إلى مثل ما عمل من المعاصي"[145]. وقال ابن القيّم: " فأما الندم: فإنه لا تتحقق التوبة إلا به، إذ من لم يندم على القبيح فذلك دليل رضاه به، والإصرار عليه "[146].

رابعاً: الندم طريق الخروج من المصائب والهموم، والآلام والغموم، ومن كل ضائقة يمكن أن يمر بها المسلم في حياته. فيونس ﷺ حين التقمه الحوت "مضيّقاً عليه أشد الضيق. فلما كان في الظلمات: ظلمة جوف الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل نادى (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[147]. فاستجاب الله دعاءه، ونجاه من الغم الذي هو فيه، ولفظه الحوت على الساحل"[148]. ثم أنبت الله له شجرة يقطين ليقيه من حرارة الشمس، وليأكل من ثمرها، قال تعالى: (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ)[149]. فبعد الغم والهم الذي أصيب به يونس عليه السلام، والظلمات التي سكنها، والضيق والشدة التي عصفت به. كان الندم والاعتراف بالخطأ أو الذنب فرجاً له. إذ: 1- نجّاه الله من الغمّ الذي هو فيه. 2- أضاء الله له الدنيا بعد الظلمات حين لفظه الحوت على الساحل. 3- أنبت الله له شجرة يقطين. 4- فتح الله به قلوب أمةٍ بأكملها، قال تعالى: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فآمنوا فمتعناهم إلى حين)[150].

لذا فإن المخرج من الفتن والشدائد يكون بالندم، والاعتراف بالذنب. قال ابن كثير: "وقوله تعالى: (فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ)[151] أي أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات، وقوله: (وكذلك ننجي المؤمنين)[152] أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين إلينا، ولا سيّما إذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء"[153].

وقد روى الترمذي في سننه عن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: "دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت (لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)[154] فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له "[155].

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع انفعال الندم عند الأنبياء، فإنه يجدر بنا أنْ نسجِّل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1- انفعال الندم يمثل حالة وجدانية داخلية، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً، وعليه فالندم في أصله عملية طبيعية في الإنسان، ولكن ما ينتج عن هذا الانفعال يمكن أن يقيّم أو يصوّب.

2- ذكر القرآن الكريم الندم عند الأنبياء عليهم السلام من خلال استعراضه لقصص الأنبياء، في ثنايا سوره وآياته، وبيّن المؤثرات والأسباب لهذه الظاهرة وذكر الآثار المترتبة عليها.

3- انفعال الندم الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام، كان من النوع الإيجابي، الذي يمثل حالة انفعالية تنشأ من شعور الإنسان بالخطأ والذنب، فتدفعه إلى الاستغفار والتوبة.

4- وقوع الندم من الأنبياء على بعض الأفعال، يدل على شفافية أرواحهم ورقّتها، وعظمتها في الاعتراف بالخطأ.

5- الندم الذي ينشأ عن شعور الفرد بالذنب، من العوامل المهمة في تقويم شخصيته، وصقلها، وتهذيبها، ودفعها إلى تجنب الأفعال أو الأمور التي يمكن أن تسبب له ألم النفس مستقبلاً.

الهوامش

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب. 15مج. بلا طبعة. ج12ص572. الفيروزآبادي، القاموس المحيط. 4مج. بلا طبعة. ج4 ص182. الزبيدي، تاج العروس. 10مج. ط1. ج9 ص74. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة. 6مج. ط2. ج5ص411.

(2) هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني، صاحب دائرة المعارف العربية، عالم واسع الاطلاع، ولد ونشأ في الدبيّة من قرى لبنان، وتعلم بها وببيروت آداب العربية، واللغات: السريانية، والايطالية، واللاتينية، ثم العبرية، واليونانية. واشتغل بالتأليف، فصنّف: محيط المحيط في اللغة، واختصره في كتاب قطر المحيط، وكشف الحجاب في علم الحساب. توفي في بيروت سنة 1883م. انظر: الزركلي، الأعلام. 8مج. ط 6. ج2 ص58.

(3) البستاني، قطر المحيط. 2مج. ج2 ص2151.

(4) سورة المائدة: الآية 31.

(5) سورة الشعراء: الآية 157.

(6) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن. بلا طبعة. ص489.

(7) هو أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ثم الموصلي، الكاتب ابن الأثير، القاضي الرئيس، العلاّمة، البارع، الأوحد، البليغ. صاحب جامع الأصول، وغريب الحديث. قرأ الحديث والعلم والأدب. ولي

ديوان الإنشاء. وكان ورعا بهيّا. توفي بالموصل سنة 606هـ. انظر: الذّهبي، سير أعلام النبلاء. 25 مج. ط8. ج21 ص488-491.

(8) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث. 5مج. بلا طبعة. ج5 ص36.

(9) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي، العلاّمة، كبير المعتزلة، صاحب الكشّاف والمفصل. كان رأساً في البلاغة والعربية، والمعاني والبيان، له نظم جيّد. وكان داعية إلى الاعتزال. وقد برع في الأدب كذلك، وكان نسّبة. توفي ليلة عرفة سنة 538هـ. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج20 ص151-156.

(10) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث. 4مج. ط2. ج3 ص418.

(11) هي: الآية (31) من سورة المائدة. والآية(52) من سورة المائدة. والآية (157) من سورة الشعراء. والآية (6) من سورة الحجرات. والآية (54) من سورة يونس. والآية (33) من سورة سبأ.

(12) هو الشيخ سليمان بن عمر بن منصور العجلي، المصري الأزهري، الشافعي، المعروف بالجمل. مفسّر، وفقيه. ولد وتوفي في مصر. من تصانيفه: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين بالدقائق الخفية، وفتوحات الوهّاب بتوضيح شرح منهج الطلاّب، وغيرها من التصانيف. توفي سنة 1204هـ. انظر: كحّالة، معجم المؤلفين. 8مج. بلا طبعة. ج4 ص271.

(13) سورة الحجرات: الآية 6.

(14) الجمل، سليمان بن عمر العجلي: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. 4مج. بلا طبعة. ج4 ص178.

(15) سورة الحجرات: الآية 6.

(16) بن عاشور، التحرير والتنوير. 12مج. بلا طبعة. ج3 ص174.

(17) سورة يونس: الآية 54.

(18) سورة الزمر: الآية 56.

(19) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. 15مج. إعادة ط 1. ج11 ص196.

(20) الضمير أو ما يسمى الوجدان هو قدرة الإنسان على التمييز فيما إذا كان عمل ما خطأ أم صواب أو التمييز بين ما هو حق وما هو باطل، وهو الذي يؤدي إلى الشعور بالندم عندما تتعارض الأشياء التي يفعلها الفرد مع قيمه الأخلاقية، وإلى الشعور بالاستقامة أو النزاهة عندما تتفق الأفعال مع القيم الأخلاقية، وهنا قد يختلف الأمر نتيجة اختلاف البيئة أو النشأة أو مفهوم الأخلاق لدى كل إنسان. انظر:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B6%D9%85%D9%8A%D8%B1

(21) مقال على الانترنت للكاتب محمد أحمد إبراهيم سعفان، بعنوان:" مقياس الشعور بالذنب ". أنظر:
http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books

(22) راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس. ط10. ص145.

(23) مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان: "الانفعالات ". انظر:
http://www.fo-z.com/vb/t4312.html

(24) مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف، بعنوان: "المقياس النفسي للشعور بالذنب ". انظر:
http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775

(25) مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان: "فوائد من المجلات العربية ". انظر:
http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm

(26) لحديث الشفاعة الطويل. وفيه: " فيقول بعض الناس: أبوكم آدم. فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده..." رواه البخاري. انظر: البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله عز وجل {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود: 25]. رقم الحديث (3340). ج2 ص135.

(27) لحديث أبي أمامة أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: "نعم معلم مكلم". رواه أحمد والحاكم. انظر: أحمد بن حنبل: المسند. ج 5 ص 266. الحاكم: المستدرك على الصحيحين. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي في الذيل. ج 2 ص262.

(28) لقوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}. [آل عمران: 59].

(29) لقوله تعالى: {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}. [الحجر: 29].

(30) لقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}. [البقرة: 34].

(31) لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}. [البقرة: 30].

(32) هي: البقرة: الآيات (31،33،34،35،37). آل عمران: الآيتان (33،59). الأعراف: الآيات (11،19،27،172). الحجر: الآيات (28-33). الإسراء: الآية (61). الكهف: الآية (50). طه: الآيات (115،116،117،120،121). ص: الآيات (71-75).

(33) سورة البقرة: الآية 31.

(34) سورة البقرة: الآية 30.

(35) البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب وفاة موسى، وذكره بعد. رقم الحديث (3409). ج 2 ص 145. مسلم: صحيح مسلم. كتاب القدر. باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام. رقم الحديث (2652). ج 4 ص 2042.

(36) سورة طه: الآية 115.

(37) قطب، في ظلال القرآن. 6مج. ط17. ج4 ص2353.
(38) سورة الأعراف: الآيات 19–23.
(39) سورة البقرة: الآية 25.
(40) الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبّر. 15مج. ط1. ج4 ص131.
(41) سورة طه: الآية 115.
(42) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. 7مج. ط2. ج3 ص153.
(43) ابن القيّم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. بلا طبعة. ج1 ص91.
(44) أبو حيّان، البحر المحيط. ط1، ج4 ص280.
(45) الميداني، معارج التفكر. ج 4 ص 141.
(46) سورة النور: الآية 21.
(47) سورة الأعراف: الآية 20.
(48) الميداني: معارج التفكر. ج 4 ص 139.
(49) سورة طه: الآية 131.
(50) سورة الأعراف: الآية 22.
(51) أبو حيان: البحر المحيط. ج 4 ص 280.
(52) سورة طه: الآية 131.
(53) سورة الأعراف: الآية 22.
(54) سورة طه: الآية 118.
(55) سورة الأعراف: الآية 22.
(56) قطب: في ظلال القرآن. ج 3 ص 1269.
(57) سورة الأعراف: الآية 23.
(58) سورة طه: الآيتان 131،132.
(59) سورة البقرة: الآية 37.
(60) سورة الأعراف: الآية 23.
(61) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. 22مج. بلا طبعة. ج1 ص324. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج1 ص141.
(62) سورة البقرة: الآية 38.
(63) قطب: في ظلال القرآن. ج3 ص 1269.
(64) عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته. ط 1. ص79.
(65) سورة الأعراف: الآية 27.
(66) سورة الأعراف: الآية 23.
(67) لحديث الشفاعة الطويل. وفيه: "فيأتون نوحاً، فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض...". رواه البخاري: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ}. [هود: 25] رقم الحديث (3340). ج2 ص135.
(68) لقوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}. [الشورى: 13].
(69) لقوله تعالى: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}. [الإسراء: 3].
(70) لقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا}. [العنكبوت: 14].
(71) سورة الأعراف: الآيتان 60،61.
(72) سورة القمر: الآية 9.
(73) سورة هود: الآية 32.
(74) سورة هود: الآية 40.
(75) سورة التحريم: الآية 10.
(76) سورة هود: الآية 43.
(77) الصابوني: النبوة والأنبياء. ص138–139.
(78) سورة هود: الآية 38.
(79) زين العابدين، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. 2مج. ط3. ج1 ص127.
(80) سورة نوح: الآيات 5–8.
(81) زين العابدين: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. ج1 ص74.
(82) سورة هود: الآية 45.
(83) سورة هود: الآيات 45–47.
(84) سورة هود: الآية 42.
(85) سورة هود: الآية 43.
(86) سورة هود: الآية 45.
(87) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن. 15مج. بلا طبعة. ج12 ص1144–1145.
(88) سورة هود: الآية 40.
(89) سورة هود: الآية 46.
(90) قطب: في ظلال القرآن. ج4 ص1879.
(91) سورة هود: الآية 46.
(92) زين العابدين: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. ج1 ص67.
(93) سورة هود: الآية 47.
(94) قطب: في ظلال القرآن. ج4 ص1880.
(95) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن. ج12 ص1149.
(96) رضا، تفسير القرآن الحكيم. 12مج. ط2. ج12 ص86.
(97) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 6مج. وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط1. ج3 ص319.
(98) في سور: النساء: آية رقم (163)، والأنعام: آية رقم (86)، ويونس: آية رقم (98)، والأنبياء: آية رقم (87)، والصافات: آية رقم (139)، والقلم: آية رقم (48).
(99) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما. انظر: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ... فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ}. [الصافات: 139–148].رقم الحديث (3413). ج2 ص420.
(100) سورة الصافات: الآية 147.
(101) سورة الأنبياء: الآية 87.
(102) سورة الصافات: الآية 147.

(103) سورة الصافات: الآيات 140-143.
(104) سورة الأنبياء: الآيتان 87،88.
(105) انظر صفحة 82.
(106) قطب: في ظلال القرآن. ج4 ص2393.
(107) سورة الأنبياء: الآية 87.
(108) عباس: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته. ص350.
(109) رواه البخاري بلفظ "ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متّى". انظر: صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب قول الله تعالى: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} إلى قوله: { فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ} سورة الصافات: الآيات 139-142. رقم الحديث (3415). ج2 ص157.
(110) سورة الأنبياء: الآية 87.
(111) سورة الفجر: الآية 16.
(112) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل. 5مج. بلا طبعة. ج4 ص36.
(113) سورة الصافات: الآيات 139-142.
(114) القشيري، لطائف الإشارات. 3مج. علّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط1. ج2 ص304.
(115) سورة الصافات: الآيتان 143،144.
(116) سورة الأنبياء: الآية 87.
(117) هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري. نظام الدين. ويقال له الأعرج. مفسر، له اشتغال بالحكمة والرياضيات، أصله من قم، ومنشأه وسكنه في نيسابور. له كتب منها: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ولب التأويل، وشرح الشافية في علم الصرف. توفي سنة 850هـ. انظر. الزر كلي: الأعلام. ج1 ص216.
(118) النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان. 12مج. ط1. ج17 ص57.
(119) ابن حزم: الفِصل في الملل والأهواء والنحل. ج4 ص37.
(120) سورة النساء: الآية 164.
(121) سورة الأحقاف: الآية 35.
(122) سورة الشورى: الآية 13.
(123) سورة الأحزاب: الآية 7.
(124) سورة الأعراف: الآية 144.
(125) سورة طه: الآية 39.
(126) سورة القصص: الآية 4.
(127) سورة القصص: الآية 38.
(128) الصابوني، النبوة والأنبياء. ط1. ص 165.
(129) عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته. ص334.
(130) سورة الأعراف: الآيتان 150،151.
(131) أبو حيّان: البحر المحيط. ج 4 ص395.
(132) الشعراوي، تفسير الشعراوي. 18مج. بلا طبعة. ج7 ص4368.
(133) ابن منظور: لسان العرب. ج5 ص25.
(134) الخالدي، مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ط1. ص272.
(135) هياجنة، الصورة النفسية في القرآن الكريم. ط1. ص151.
(136) سورة الأعراف: الآية 25.
(137) سورة الأعراف: الآية 151.
(138) سورة الأعراف:الآية 148.
(139) رواه الترمذي وقال: هذا غريب. وحسّنه الألباني. انظر: سنن الترمذي. كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في صفة أواني الحوض. رقم الحديث (2499). ص563.
(140) سورة الأنبياء: الآية 87.
(141) ابن عثيمين، شرح رياض الصالحين. 4 مج. بلا طبعة. ج1 ص46.
(142) سورة هود: الآية 47.
(143) ابن ماجه، سنن ابن ماجه. حكم على أحاديثه الألباني، واعتنى به مشهور آل سلمان: ط1. كتاب الزهد. باب ذكر التوبة. رقم الحديث (4252). وقال الألباني: صحيح. ص704.
(144) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري القشيري. فقيه، مفسر، صوفي، متكلم، حافظ محدث، نحوي أديب. قال فيه البغدادي: كان ثقة، يقصّ، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة. له مصنفات عديدة من أهمها: لطائف الإشارات، والرسالة القشيرية. توفي في بغداد سنة 465هـ. انظر: البغدادي، تاريخ بغداد. 14 مج. بلا طبعة. ج11 ص83. الذهبي: سير أعلام النبلاء. ج22 ص252- 255.
(145) القشيري، الرسالة القشيرية في علم التصوف. ط1. ص92. وانظر: النووي، رياض الصالحين. ط3. ص35.
(146) العزّي، تهذيب مدارج السالكين. بلا طبعة. ص 123
(147) سورة الأنبياء: الآية 87.
(148) قطب: في ظلال القرآن. ج 4 ص 2393.
(149) سورة الصافات: الآيتان 145،146.
(150) سورة الصافات: الآيتان 147،148.
(151) سورة الأنبياء: الآية 88.
(152) سورة الأنبياء: الآية 88.
(153) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج 4 ص 587.
(154) سورة الأنبياء: الآية 87.
(155) الترمذي، سنن الترمذي. حكم على أحاديثه الألباني. اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط1. كتاب الدعوات. باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد. رقم الحديث (3505). وقال الألباني: صحيح. ص 795.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث. 5مج. تحقيق: محمود الطناحي. بلا طبعة. بيروت: المكتبة الإسلامية.

ابن القيّم، محمد بن أبي بكر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان. بلا طبعة. بيروت: المكتبة الثقافية. 1989م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل. 5مج. تحقيق: محمد نصر وعبد الرحمن عميرة. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل.

ابن حنبل، أحمد الشيباني: مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال. ط 2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1978م.

ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. 12مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن عثيمين، محمد بن صالح: شرح رياض الصالحين. 4مج. بلا طبعة. القاهرة: مكتبة الإيمان. بلا تاريخ.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق: عبد السلام هارون. ط2. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1971.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. 7مج. ط2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1970م.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه. حكم على أحاديثه الألباني، واعتنى به مشهور آل سلمان: ط1. الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 6مج. وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999.

أبو حيّان، محمد بن يوسف: البحر المحيط. تحقيق: عادل عبد الموجود. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

البخاري، محمد بن إسماعيل: الجامع الصحيح المسند (صحيح البخاري). 3مج. بتبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003.

البستاني، بطرس: قطر المحيط. 2مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة لبنان. بلا تاريخ.

البغدادي، أحمد بن علي: تاريخ بغداد. 14 مج. بلا طبعة. المدينة المنورة: المكتبة السلفية. بلا تاريخ.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي. حكم على أحاديثه الألباني. اعتنى به: مشهور آل سلمان. ط1. الرياض: مكتبة المعارف.

الجمل، سليمان بن عمر العجلي: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ.

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين وبذيليه التلخيص. 5مج. إشراف يوسف المرعشلي. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.

الخالدي، صلاح: مواقف الأنبياء في القرآن تحليل وتوجيه. ط1. دمشق: دار القلم. 2003م.

الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

الذّهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء. 25 مج. تحقيق: بشّار عواد، ومحي السرحان. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1992.

راجح، أحمد عزت: أصول علم النفس. ط 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع. 1982م.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. راجعه: وائل أحمد عبد الرحمن. بلا طبعة. القاهرة: المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ.

رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم. 12مج. ط2. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

الزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس. 10مج. ط1. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1306هـ.

الزحيلي، أ.د وهبه: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. 15مج. إعادة ط1. بيروت، ودمشق: دار الفكر المعاصر، ودار الفكر. 1998.

الزركلي، خير الدين: الأعلام. 8مج. ط6. بيروت: دار العلم للملايين. 1984م.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث. 4مج. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي. ط2. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. 1979م.

زين العابدين، محمد سرور: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله. 2مج. ط 3. لندن: دار الأرقم للنشر والتوزيع. 1988م.

الشعراوي، محمد متولي: تفسير الشعراوي. 18مج. بلا طبعة. القاهرة. أخبار اليوم. بلا تاريخ.

الصابوني، محمد علي: النبوة والأنبياء. ط1. القاهرة: دار الحديث. 1986.

عباس، فضل حسن: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته. ط1. عمان: دار الفرقان. 1987.

العزّي، عبد المنعم صالح العلي: تهذيب مدارج السالكين. بلا طبعة. دبي: مكتبة كاظم. بلا تاريخ.

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 22مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.

القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: لطائف الإشارات. 3مج. علّق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن: الرسالة القشيرية في علم التصوف.

تحقيق: معروف زريق وعلي بلطجي. ط1. بيروت: دار الخير. 1991.

قطب، سيد: في ظلال القرآن. 6مج. ط17. بيروت، القاهرة: دار الشروق 1992.

كحّالة، عمر رضا: معجم المؤلفين. 8مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة المتنبي، ودار إحياء التراث. بلا تاريخ.

مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم. 5مج. رقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع. طبعة 1983.

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان: "الانفعالات". انظر:
http://www.aklaam.net/aqlam/show.php?id=1775

مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان: "فوائد من المجلات العربية". انظر:
http://www.fo-z.com/vb/t4312.html

مقال على الانترنت للكاتب سيد يوسف، بعنوان: "المقياس النفسي للشعور بالذنب". انظر:
http://www.hayatnafs.com/faoaied-men-almajalat-alarabia/masha3er-althanb.htm

مقال على الانترنت للكاتب محمد أحمد إبراهيم سعفان، بعنوان: "مقياس الشعور بالذنب". انظر:
http://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=egb63427-5063408&search=books

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنّكة: معارج التفكر ودقائق التدبّر. 15مج. ط1. دمشق: دار القلم، 2002م.

النووي، يحيى بن شرف: رياض الصالحين. حققه: حسان عبد المنان. ط3. عمّان: المكتبة الإسلامية ومكتبة برهومة. 1413هـ.

النيسابوري، الحسن بن محمد القمي: غرائب القرآن ورغائب الفرقان. 12مج. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. ط1. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1965م.

هياجنة، محمود سليم محمد: الصورة النفسية في القرآن الكريم. ط 1. عمّان، اربد: جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع. 2008.

Prophets' Compunction and Its Implications in the Qur'anic Narrations

Odeh Abdullah, Rasmeyyah A Hannoon, Ibrahim A Dawood*

ABSTRACT

This research is set out to scrutinize the prophets' (peace be upon them) psychological aspects through the phenomenon of compunction and its implications on prophets' sayings, acts and behaviors, and also to analyze this aspect, as well as to benefit from it in the process of contemporary call. The Qur'anic narrations have presented some positions in which the compunction of prophets took place, and demonstrated its causes and implications. It was also found that the compunction that has happened to some of prophets (peace be upon them) was a tolerable type, which is generally not to blame people, and no one is infallible from it, as it is being instilled in every human being. This compunction was not such as dread and freight, but it was a lofty goal, and was a motivation for work, energy and activity.

Keywords: Quran, Quranic Narration, Phsycology.

* An-Najah National University, Palestine. Received on 7/7/2015 and Accepted for Publication on 9/9/2015.